القديسة ماكرينا الصغري من خلال كتابات "غريغوريوس النيصي" (327–379م)

د.سهير محمد مليجى

مدرس بقسم التاريخ كلية البنات جامعة عين شمس

sohermohamed.melegy@women.asu.edu.eg

المستخلص

يتناول البحث حياة القديسة " ماكرينا الصغري " متتبعًا نشأتها، وفترة شبابها، باعتبارها قد أسهمت بدور كبير في حركة الرهبنة النسائية، كما يبين الدور العظيم الذي لعبته الأم إميليا في حياة ابنتها من تنشئتها نشأة دينية سليمة، وابعادها عن كل ما يقصيها عن نهج الكتاب المقدس. ثم يتطرق إلي خطبة ماكرينا التي لم تكلل بالزواج لوفاة خطيبها، ورفضها لأية خطبة بعدها لميلها إلي حياة التبتل.

كما توضح الدراسة دور القديسة ماكرينا التربوي في توجيه وإرشاد اخوتها، مما أثر في توجهاتهم تأثيرًا كبيرًا. كما يبين مدي تأثيرها الإيجابي علي أمها وإقناعها بتحويل منزل الأسرة بأنيسي إلي دير للنساء، وكيف ضمت إليه العذاري والأرامل اللواتي شغفن بالتوجه الديني وحياة الرهبنة. كما تشير إلي الدور الذي لعبته ماكرينا في تخفيف أحزان أمها علي وفاة شقيقها نوكراتيس.

وتطرقت الدراسة أيضًا إلي نظام الحياة داخل دير النساء، وكيف اتسمت تلك الحياة بالتقشف حيث تجرد كل من فيه من أي زينة أو مباهج دنيوية، وتفرغهن للصلوات المتواصلة والتأمل بحافز يكمن في الانتقال للحياة الملائكية

الكلمات الدالة

- القديسة.
- ماكرينا.
- الصغري.
- باسيليوس الكبير.
- غريغوريوس النيصي.

المقدمة:-

حظي الأدب المسيحي – أواخر العصور القديمة وبدايات العصور الوسطى– بإفراد مساحة متسعة في تناول سير النساء القديسات بالكتابة والتأليف الذي يترجم لهن، وبخاصة الشخصيات المرتبطه منهن بإعلاء المثل العليا(Coon,1977,P.50))، واللاتي صرن النماذج السامقة التي شكلت تلك القيم. وقد جاءت تلك المدونات ما بين موضوعات تتم فيها الإشارة لأعمالهن، أومؤلفات(Smith,2008,P.720))، تصورهن علي كونهن معلماتموثوقات(Hervery,2006,P.386)) ومما يجب التنويه عليه أن هذه الأعمال لم تكن لتقدم علي أنها دراسات أدبية بقدر ما تم تقديمها علي كونها إرشادات تعليمية صريحة توفر القدوة والنموذج الذي يمكن أن يسترشد بها معاصرو المسيحيين لتتبع نهجها (Smith,2008,P.72)

ومن أبرز تلك القديسات المشار إليهن في هذا الصدد، القديسة ماكرينا الصغرى Saint Macrina the Younger التى حظيت بمكانة مرموقة فى الأدب المسيحي حيث قام شقيقها غريغوريوس النيصي(Gregorius of Nyssa) أسقف نيصص( ) (372 – 376 / 378 – 386م) بتدوين سيرتها؛ وقد أفرد لها مساحة واسعة من كتاباته، إضافة لتناوله الحديث عنها في مؤلف آخر خاص بها، والذي عُدَّ من أروع آثار غريغوريوس المؤلفة( )، حيث سار فيها علي نهج أشهر من دوّنوا السير في العصور الوسطي، والتي سلك فيها سبيلًا يجلي به القداسة الدينية في اسمي مظاهرها، ومن ثم برزت شخصية ماكرينا من خلال هذا المؤلف في أعلي مراتب القداسة بما خلعه عليها غريغوريوس من أسماء وألقاب مانحًا إياها مثل "القديسة" و"الطوباوية" و"النفس الإلهية" و"المعلمة"، بل نلتمس هذا في افتتاحيته التي يترجم عنها بقوله: "إننا نتحدث عن امرأة لو صح أن ندعوها بتلك الصفة (امرأة)، لأنني لا أدري هل من اللائق أن ندلل بألفاظ طبيعية عمن ارتقت فوق الطبيعة ؟! (النيصى ، 2001، ص. 25)، وقد أراد غريغوريوس أن يشير في هذا الصدد إلي كون ترقيها في رياضتها الروحية إلي درجة البطولة لتزيل بذلك الفارق الجنسي بين الرجل والمرأة.

وقد استطاع غريغوريوس إبان تناوله سيرة القديسة ماكرينا أن يبرز نموذجا لمثالية الرهبنة التي تدرجت فيها شقيقته حتي وصلت لقمة الفضيلة بها، موضحًا أن تلك المثالية لا تقتصر علي الرهبانية فحسب، بل تمتد لتشمل كمال الحياة المسيحية بوجه عام. والتي من أهم أسسها التحرر من الميول النفسية والأهواء البشرية وصولًا لمرحلة الانفلات التأملي من حياة الجسد إنتقالًا إلي الحياة الملائكية (النيصى، 2001،ص. 25-28)، ومن هنا تم تقييم هذا العمل علي أنه مؤلف موضوعي أكثر من اعتباره مجرد تقريظ أو واجب أخوي. (Louth, 2006.A, P. 299)).

أولاً: نشأة القديسة ماكرينا:-

إذا استقصينا البدايات التي تتبع سيرة القديسة ماكرينا فإنها تنبئنا بأنها ولدت عام 327م (Nyssa,1892,P11) ،لأبوين مسيحيين، وكان الأب يدعي " باسيليوس " ( )Basil والأم تدعي إميليا Emmelia( ). أما عن محل الميلاد فكان بقيصرية كبادوكيا، كانت ماكرينا هي الابنة الكبري لوالديها، أما عن سبب تسميتها بهذا الاسم إنما كان تيمنًا بجدتها لأبيها التي لقبت بـ "ماكرينا الكبري"( ) لينتقل لقب "ماكرينا الصغري" للحفيدة(Nyssa,1892.P.548))، ومما يُشار إليه أن لماكرينا اسم سري آخر هو "تكلا Thecla" ( )، وتعود أسباب هذا الاسم الأخير لظهور بعض البشارات قبيل ولادتها

(النيصى،2001،ص. 33)، ففي أيام المخاض أحست الأم إميليا بآلام الوضع، فغفت للحظات قلائل لتري في غفوتها رجلًا مهيب الطلعة يحمل بين ذراعيه طفلة أطلق عليها اسم تكلا، ومن العجيب أن الأم قد رأت تلك الرؤيا ثلاث مرات، فلما تنبهت من غفوتها شاهدت ذات الطفلة التي أتتها بالرؤيا،(النيصى،2001،ص. 33- 34)، وتلك الإشارات يمكن تفهمها كتوطئة وتمهيد لما ينتظر القديسة ماكرينا الصغري من منزلة ومكانة سامقة بين القديسات العذاري، وستمثل قرينة لشهيدة المسيحية الأولي تكلا.

وفي غمار هذا السباق نجد المؤرخ سميث يقوم بتمجيد القديسة ماكرينا الصغري، حين ذكرها بـ "القديسة العذراء الخيالية"، حيث حظيت بشهرة وشعبية واسعتين علي غرار ما حظيت به القديسة تكلا التي عملت مع بولس الطرسوسي ( )"بولس الرسول" في التبشير بالمسيحية، وتفانيها واستبسالها في الدفاع عن العقيدة المسيحية التي آمنت بها. Smith,2008,P.720))، والجدير بالذكر وجود قواسم مشتركة بين القديستين، فكلتاهما رفضتا حياة الزواج مفضلتين حياة التبتل متفانيتين في حياة الزهد والتنسك، فضلًا عن الأعمال الخيرية وصنائع المعروف المرتبطة بالمثل العليا. وبالطبع ثمة اختلافات بينهما ترجع إلي الظروف التي أحاطت بكلتيهما والمتغيرات الزمنية والتاريخية لكل قديسة علي حدة.

والجدير بالذكر، أن أسرة ماكرينا تنتمي إلي عائلة مسيحية شديدة التعلق بعقيدتها والتمسك بإيمانها الديني، فالجدة ماكرينا الكبري وزوجها تعرضا لاضطهاد شديد من قبل الإمبراطور ماكسيمنيوس الثاني (305 – 313م) حتي إنهما اضطرا إلي الهرب من أنطاكية، متوجهين نحو بونتوس( )Pontusمستقرين بها طيلة سبع سنوات (باسيليوس،1960،ص.132؛ Gould,1897,P.202)، عانوا فيها أشد المعاناة متكبدين فيها من المشقة ما هو فوق الاحتمال؛ حيث فقدا معظم أملاكهما، ولم يتبق من أولادهما سوي اثنين غريغوريوس( ) وباسيليوس والد ماكرينا الصغري.(باسيليوس، 1960،ص. 132؛ النيصى،2001،ص. 52) ونري أن عوامل الاضطهاد والثبات العقائدي الأصيل الذي لم يتحطم أمام مصائب الأحداث إضافة لروح الصبر والمثابرة قد طبعت شخصية الأسرة بآثار إيجابية تركت أثرها علي أحفادهم الذين تربوا ونشأوا نشأة دينية صارمة لا تركن إلي مغريات دنيوية أو تميل لعلوم مدنية، والدليل أن أغلبهم صاروا قديسين.

أما عن طفولتها فقد كانت ماكرينا الصغري مثل بقية أطفال تلك الطبقة فلها مرضعتها الخاصة، بيد أن أمها إميليا كانت حريصة علي أداء دورها كأم، فكانت تغذوها من حين إلي آخر وتضمها بين ذراعيها.(النيصى، 2001،ص.34- 35) وبعد تخطي ماكرينا الصغري مرحلة الطفولة بدأت مواهبها تتفتح في تلقي ما يؤدي إليها من معارف وعلوم دينية فبرزت تلك الموهبة بدرجة كبيرة، بيد إنها لم تكن علي صلة تذكر بالعلوم المدنية حيث أقصتها والدتها عن تلك الأشياء والدراسات الأدبية والتي كانت تعدها خزي عظيم، فالأم رسخ لديها يقين بأن أعمال الشعراء تتخذ من أهواء وأحاسيس النساء مادة خصبة لموضوعاتهم، والتي تراها تتنافي مع القيم والتعاليم التي تبتغي غرسها في نفس طفلتها ماكرينا، ومن ثم فقد اقتصرت بل وانحصرت دراسة ماكرينا وهي طفلة علي كل ما يتصل بالكتاب المقدس، فنجدها تدرس "سفر الحكمة" الذي يحتوي علي مادة خصبة كفيلة أن تشكل مبادئها الأخلاقية، كما درست "سفر المزامير" والذي لازمها ورافقها طوال يومها قبل تناولها الطعام وبعده، وعند توجهها إلي فراشها، وحين استيقاظها للصلاة(النيصى ،2001،ص.34-35)

ثانياً: مشروع زواج ماكرينا :-

وجدت بعض القوانين الاستثنائية الخاصة بالزواج أواخر العصور القديمة، وبداية العصر البيزنطي، وهي القوانين التي حاول الإمبراطور جستنيان (527 – 565م) تنظيمها فيما بعد، وإصدار تشريعات قانونية جديدة للزواج. إلا أن عقبة كئود حالت دون جهوده، تمثلت في الأفكار المترسبة من العهود السابقة والتي تخص استمرار فكرة الزواج والتي تمثلت في ضرورة رضا الأبوين، تبادل الهدايا قبل الزواج، المهر، توقيع محارم زوجية التي تضمن قائمة بالملكية الخاصة للعروس والمهر حال وقوع الطلاق !! كل هذه الإشكالات مثلت دلالات اجتماعية مترسبة من الآثار القانونية لأواخر العصور القديمة (Giardina,2008,P.400)، أما ما يتعلق بالخطبة، فقد فرض التشريع الإمبراطوري بعض الشروط الاقتصادية علي المتعثرين في إتمام الزواج، فجعلت تلك الإجراءات الوعد بالزواج أكثر إلتزامًا، ويزيد علي ذلك أن بعض من رجال الدين حاولوا إرساء أهمية أخلاقية لهذا الوضع لا تقل أو تختلف عن أهمية الزواج ذاته. أما عن سن الزواج فقد ظل ثابتًا ومحددًا سن الذكر بأربعة عشر عامًا والأنثي بإثني عشر عامًا. Giardina, 2008, P (400.)

فلما أن ناهزت ماكرينا الصغري تلك السن "الثانية عشر" لم تستطع الإفلات من تلك القوانين، وخاصة بعد أن أزهرت فتنتها وزاد جمالها وبرز شبابها حتي أن غريغوريوس النيصي المفتون بشقيقته يقر ذلك بقوله: "إنه لم يستطع أي من الرسامين أن يطابق أو ينقل جمالها المتناسق بكل دقة وأمانة "،(النيصى،2001،ص.35)، وهو ما يفسر كثرة من تقدم لخطبتها، وهنا يبرز دور والدها المعروف بحنكته وحكمته ورجاحة عقله في انتقاء أفضل المتقدمين، فتخير شابًا رآه أفضلهم من وجهة نظره فقد كان ذا جاه وحسب ( ). وبعد الموافقة علي ذلك الشاب، الذي بادر هو بتقديم بعض الهدايا لعروسه ماكرينا – كعرف متبع – كان من بينها خاتم معدني حُفر عليه نقشًا لصليب بطريقة غاية في الاتقان. وقد ظلت ماكرينا ترتدي ذلك الخاتم حتي بعد وفاة خطيبها(Nyssa,1892,,2008 ,P.610 Brown, P.17;) ، وكان في ذلك مناورة ذكية منها توحي من خلالها بإلتزامها الأخلاقي بإتمام تلك الخطبة بل والزواج حتي بعد وفاة خطيبها وفاءًا وإلتزامًا !! بيد إننا نري أن هناك دافعًا آخر غير الوفاء هو الذي دفع بالأحداث وتوجهها إلي هذا الاتجاه تمثل في ميل ماكرينا إلي حياة التبتل وعدم رغبتها في الاقتران الجسدي الذي يفرضه الزواج. وكون ذلك الخاتم سيقطع الطريق أمام أي متقدم إليها باعتبارها علي عهدها المقطوع لخطيبها الراحل، والعامل الآخر، ما يمثله نقش الخاتم من رمز ديني يتناسب وحياة الرهبنة التي تخيرتها.

إن كان الأمر كذاك ،فقد كان هذا الشاب مستحقًا لوفائها، فقد نال شهرة وصيتًا مدويًا يرجع سببهما لبلاغته وقوة بيانه في خطبه التي كانت رائعة بارعة مما جعله مثار حسد أضرابه (النيصى، 2001، ص 35-36) فضلًا عن يسره المالي الذي تمتع به. إلا أن رياح الحياة لم تواتي ما تشتهي السفن، حيث أصيب ذاك الخطيب بالحمي التي أودت بحياته قبيل إتمام زواجه بماكرينا(النيصى ، 2001، ص 35-36) التي اعتبرت قرار والدها بشأن تلك الزيجة قد تم بالفعل، ومن ثم فلم تقدم علي الزواج مرة أخري معتبرة أن خطيبها لم يمت إنما يعيش في الملكوت الأعلي، وليكن الوفاء الأبدي المرتبط به هو المكافأة الممنوحة إليه(النيصى، 2001، ص. 35-36).

ولما إزداد عدد من تقدموا لخطبتها يومًا بعد آخر، ردت عليهم بقرار حاسم بكونها لا تبتغي الانفصال عن والدتها التي في أمس الحاجة إليها، وإنها راغبة بشدة في البقاء معها للقيام بواجب رعايتها.(النيصى،2001، ص36 ؛ Nyssa,1892,P.11) ، وقد زادت الضغوط عليها من قبل والدها وأقاربها لإثنائها عن قرارها، إلا أن محاولاتهم تحطمت علي صخرة إصرارها (النيصى،2001،ص.36)

ثالثاً: الدور الأسري لماكرينا :-

كان دورها في هذه الناحية لا يقل أهمية عن دورها الديني فقد كان أثرها التربوي وإرشادها العقائدي واضحًا وملموسًا علي اخوتها الصغار، فبعد قرارها الحاسم بعدم الارتباط تفرغت لرعاية أسرتها ومساعدة والدتها إميليا في هذا الشأن، فقد كان لديها عدد كبير من الصبية والبنات أشار البعض بأن عددهم بلغ العشرة خمس من البنين ونظيره من البنات. (النيصى،2001،ص36) اختلفت المصادر في التحديد الدقيق لعدد الاخوة، فقد ذكر آخرون أنهم أربعة صبية وخمس فتيات (النيصى،2001،ص.37؛باسيلوس،1960،ص.132؛ Nyssa,1892,P.11;Basset,1913,P.548) وعلي ما يمكن استنباطه أن أحد الاخوة الذكور لقي حتفه صغيرًا لذا استثني من الإشارة إليه. (النيصى،2001،ص37؛باسيليوس ، 1960،ج1،ص.132)

والجدير بالذكر، أن الأبناء قد نشأوا نشأة دينية، ويعود الفضل في ذلك إلي ماكرينا الكبري الجدة، وكذلك الأم إميليا اللتان كانتا في أشد حالات الحرص علي تلك التنشئة للأبناء، فتربوا علي هذه الشاكلة الدينية حتي صار ثلاثة من ذكور الأسرة أساقفة لبعض المدن، فغريغوريوس صار أسقفًا لنيصص كما أشير سابقًا، واخوه باسيليوس الكبير St. Basil the Elder( ) صار أسقفًا علي قيصرية (370 – 379م) ، واخوه بطرس Peter ( ) كان أسقفاً على سبسطية (أرمينيا) (380-387م)..(باسيليوس،1960،ص.132؛ Nyssa,1892,P.11;Schaff,1989,p.631)، فضلًا عن الأخ الرابع نوكراتيس ( ) الذي اتجه لسلك حياة الرهبنة والتنسك (النيصى،2001،ص39)

ويظهر أثر ماكرينا الملموس جليًا في تلك التنشئة الدينية التي شب عليها اخوتها فقد تحملت المسئولية الأسرية كاملة في معظم الأحيان، وكأنما قامت الأم بدور الحمل والإنجاب، بينما تحملت ماكرينا عبء تربية وتنشئة الصغار برعاية فائقة تامة، فضلًا عن قيامها بالأعمال المنزليةالتي قامت فيها بجهد يفوق ما تقوم به عدة خادمات. وعلي ما يبدو من الأمر أن كلا من الأم إميليا والابنة ماكرينا كانتا سعيدتين بأداء ذلك الدور وتبادل تلك الاختصاصات؛ فماكرينا رأت في الأمر إعدادًا جيدًا للحياة التي ترغبها وستقبل عليها، بينما الأم فقد رأت في تحمل ابنتها مسئولية الصغار فرصة سانحة لمباشرة أملاكها العديدة والمنحصرة في ثلاث ولايات تقريبًا( )، والتي آلت مسئوليتها إليها خاصة بعد وفاة زوجها باسيليوس عام 341م. (النيصى،2001،ص37)

والعجيب في الأمر أن ماكرينا مثلت لأمها الرفيقة التي تسمع لشكواها، وتخفف من آلامها وأحزانها ومسامرتها، إلا أن ذلك لا يعني تناسي إميليا لأمومتها تجاه ابنتها كنموذج إرشادي وموجه أخلاقي لها، فلم تغفل هذا الحق لابنتها، وكانت تقوم بتقويمها وإرشادها في بعض الأمور التي تري نقص خبرتها بها إشفاقًا عليها من أن يمسها سوء أو يصيبها مكروه، بل كانت تقودها توجيهيًا إلي الحياة الدينية المثلي. مما جعل ماكرينا تعد إميليا بمثابة المرشد الروحي والديني لها الذي يقودها إلي حياة الرهبنة الصحيحة والحياة المجردة عن أية مادية والتي تنأي بها عن كل انحراف(النيصى ،2001،ص37).

ونستنبط مما سبق، أن إميليا كانت هي حجر الأساس في اتجاه ماكرينا إلي سلك طريق الرهبنة من خلال ما غرسته في شخصيتها من شغف ديني، وتعاليم عقائدية تحض علي الفضيلة وخدمة الدين.

ولعل للأمر السابق جذور قديمة، فقد حدث أن إميليا ذاتها قبيل زواجها من باسيليوس كانت ترغب بشدة في التبتل واللجوء إلي حياة الرهبنة، وكأنما أرادت تحقيق ما فشلت به في صورة ابنتها، فقد رفضت إميليا كثيرًا ممن تقدموا لطلب يدها، لكن ليتمها في سن مبكرة وما تمتعت به من أنوثة طاغية أطمعت الكثيرون فيها، أرادت حماية نفسها من التعرض لأية متاعب فانتهي بها المطاف بقبول باسيليوس (النيصى ،2001،ص33)

وقد ظلت ماكرينا مرافقة وملازمة لأمها حتي وافتها المنية عام 371م، ولم يكن بجوار الأم أثناء احتضارها سوي ماكرينا وأخيها بطرس، وهنا توجهت إميليا بالدعاء إلي الله طالبة أن يحميهما ويحمي أبناءها الغائبين، ثم خصت الأخوين بدعائها قائلة: " إليك يارب أكرس بواكيري (تقصد ماكرينا) وعشر رحمي (تقصد بطرس) ( )، وقد تسبب قولها في انهيار ماكرينا في البكاء حيث شعرت أن أمها علي حافة الموت، وبالفعل ما هي إلا لحظات حتي فارقت إميليا الحياة (النيصى،2001،ص45؛ (Gould,1897,p.125

أما عن علاقة ماكرينا باخوتها فتمثلت في علاقة أم بأبنائها، أو علاقة معلمة بطلابها. ويشهد بذلك ما ذكره غريغوريوس في الرسالة ( ) التي دونها عقب وفاة ماكرينا بقوله: "كانت لنا أخت موقعها بالنسبة إلينا موقع معلمة حياة، وموقع أم بعد الأم، كان لها أمام الله موقف إيمان وثقة لا حد لهما، ولقد هيأت لنا كل نوع من أنواع الضمان والأمانة" (النيصى،2004،ص.101) ، وقد ذكرها غريغوريوس في موقع آخر بأنها "ملاك الأسرة" (Nyssa,1892,P.12) ، مما يدل علي أن ماكرينا كانت حصن أمان لاخوتها، كما مثلت القلب الحنون الذي يشفق علي الاخوة، ويتألم لآلامهم أمام تقلبات الحياة.

ومما يؤكد ما أسلفناه ويدل عليه ما حدث أثناء زيارة غريغوريوس لماكرينا في مرضها الأخير الذي فارقت الحياة بعده (سنتناول هذه الجزئية بالتفصيل فى موضع آخر) فعلي الرغم مما كانت تشعر به من آلام وإنهاك شديدين، فقد كانت متشوقة لسماع أخبار تطمئنها علي أحواله، ولكي تسدي إليه النصائح والإرشادات لو تطلب الأمر ذلك، فلما أنبأها غريغوريوس عما تعرض له من اضطهاد أعقبه نفي بأمر من الإمبراطور فالنز( )(364 – 378م) هنا تغلبت عليها مشاعر الأمومة وغلب عليها الحزن الشديد مما سمعته إلا أنها لامته معاتبة علي قلة خبرته الغير الكافية بالأمور الكنسية وعدم درايته الإدارية التي وصلت به إلي تلك الحالة المزرية، بالرغم مما قام به من كثرة تنقلات وسفر بين مختلف الأقاليم والمدن، وزيارة كنائسها وتصحيح إيمان أتباعها، ومن ثم فلا يصح لرجل في مكانته أن يبتذل في مثل هذا الموقف( )، وأردفت قائلة: "وأنت الشهير في المدن والأقاليم، أنت من توفده الكنائس، ويدعوه آخرون لمد يد العون، أو توطيد النظام، ألا تبصر النعمة التي وهبت؟ ألا تري من أين تأتيك هذه المواهب العظيمة، وأن صلوات ذويك هي التي بلغت بك هذا المقام الرفيع، وإنك في ذاتك، ومن ذاتك لا تملك ما يرقي بك إلي كل ذلك" (النيصى،2001،ص53-54؛ Nyssa,1892,P.850)

علي صعيد آخر، مثلت ماكرينا الأم الشجاعة العاقلة، المستسلمة لقضاء الله وبخاصة في حادثة وفاة أخيها نوكراتيس، الذي كان راهبًا كما ذُكر آنفًا، فقد كان يعيش في عزلة بالقرب من نهر إيريس Iris( ) ، وكانت مهمته التي أوكل نفسه بها في عزلته هي رعاية الشيوخ، والفقراء، والمرضي الذين يجاورونه بالقرب من النهر. ولكي يقوم بسداد احتياجاتهم كان يقوم يوميًا باصطياد الأسماك التي يقتاتون عليها، وظل علي تلك الحال طيلة خمس سنوات تقريبًا، وذات يوم أثناء توجهه لبرنامجه اليومي، خرَ فجأة دون

أية مقدمات صريعًا ميتًا، فحمله زميل له يدعي "خريسافيوس" جثة هامدة إلي منزل والدته، وهنا ظهر دور ماكرينا، وما تمتعت من رزانة وتعقل في امتصاص أحزان والدتها، ومواساتها علي فقدانها لولدها من خلال مواعظ شافية تحض علي الصبر، مما جعل الأم تتجه للسلوان وتتغلب علي أحزانها نتيجة تلك العظات التي ألقتها ابنتها علي مسامعها. لكن ينبغي علي ألا نفهم أن ماكرينا كانت متلبدة المشاعر جامدة الأحاسيس، لكنها قاومت ضغطًا نفسيًا قاسيًا، حيث كان نوكراتيس أحب اخوتها إلي قلبها، وإنما كتمت أحزانها حتي لا ينهار كيان الأسرة وبخاصة الأم.(النيصى،2001،ص.41-42)، ونري من خلال ذلك المسلك الذي اتخذته ماكرينا أنها تمتعت بمقومات شخصية اتسمت بالمسئولية التي أحيطت بالعقلانية والرزانة وتسيير دفة الأحداث نحو مرفأ الأمان وقليلًا من الأشخاص من يمتلك تلك المقومات، فقد رأيناها تحول بركان غضب والدتها – وما كان سيتتبعه من ردود فعل جامحة – إلي هدوء بتقبل تصاريف القدر في صغيرها الشاب مما يوضح أثرها الإيجابي.

علي النقيض تمامًا نجد المفارقة النفسية والموقف المغاير لنفس الشخصية لدي القديسة ماكرينا عندما أُخبِرت بوفاة أخيها باسيليوس الكبير عام 379م( ) حيث طغي عليها حزن شديد لم تستطع أن تكبح جماحه، لأن باسيليوس مثل قامة عظيمة في مجتمعه، وفخرًا لأسرته بل وللعالم بأسره من وجهة نظرها. وحينئذ أحست بأن شجرة عائلتها بدأت أوراقها في التساقط واحدة تلو الأخري، وما لبثت أن لاحقتها النكبات المتتالية فقد ذهبت الأم ولحقها نوكراتيس، ثم أعقبهما باسيليوس (النيصى،2001،ص.46) ، فكان الأمر فوق قدرة احتمالها.

وقد برز دور آخر لماكرينا نحو أخيها بطرس، وهو دور لا يقل أهمية عن إسهاماتها السالفة، فمسئولية تنشئته ألقيت أعباؤها علي عاتق ماكرينا كاملة من اللحظة الذي أتم فيها فطامه، فقامت بتنشئته نشأة دينية جيدة، وأخذت تلقنه العلوم المقدسة، وأبعدته بالكلية عن التفكير في دراسة أي نوع من العلوم المدنية، حتي صار بعد فترة يستخف بتلك النوعية من الدراسة، وكان مسلك ماكرينا في تنشئة بطرس يماثل دور الأب والمعلم بل والمربي والمرشد حتي أثمر هذا الدور إلي نزوع أخيها إلي حياة الرهبنة، وأصبح بعدها الداعم الأول والسند القوي لكل من أمه وأخته ماكرينا في حياة الرهبنة. (النيصى،2001،ص.44)

رابعاً: تحول القديسة ماكرينا إلي حياة الرهبانية:-

في ذلك الحين اشتدت المعارضات الأسرية لفتياتهن الراغبات في التوجه لحياة الرهبنة، وتعزو تلك المعارضة بسبب التخوف من ضياع الممتلكات العائلية إذا آلت ميراثًا لأولئك الفتيات المترهبنات بحكم إنفاقهن لتلك الممتلكات علي أعمال الخير والبر والإحسان وبالتالي تبديد تلك الثروات وذهاب ما يصاحبها من منزلة ومكانة اجتماعية، وقد برز هذا الاتجاه جليًا في النصف الشرقي من الإمبراطورية الرومانية بحكم أسبقيته الزمنية في اعتناق المسيحية قبل النصف الغربي منها. (Grubbs,2002,P.108)

وقد قاومت الفتيات الراغبات في حياة العذرية معارضات آبائهن، وضغوط أقاربهن محافظات علي عذريتهن، وحالفهن الحظ بإقرار قادة الكنيسة لهذا التوجه العذري الذي لم يدخل نطاق الأديرة بعد. كما وجد اتجاه من بعض الآباء باستمرار فتياتهن علي عذريتهن بدافع ديني (رغبة الفتاة في حياة الرهبنة فلا يصح التصدي لها). ودافع آخر اقتصادي يتمثل في عدم قدرتهم علي تحمل تكاليف زواج الفتاة (فبقاؤها عذراء يزيح عن كاهله تلك التكاليف، ويبدو أن هذه المعضلة صارت إلي ما يمكن الاصطلاح عليه بحق الخيار الذي يمكن الفتاة من تحقيق رغبتها في الالتحاق بسلك الرهبنة شريطة تنازلها عما لها من حقوق

مادية أو بقاؤها عذراء دون التحاقها بالدير، وكثيرًا ما سمعنا عن إساءة استخدام حرية الخيار الذي يقدمه الزهد المسيحي بالربع الثالث من القرن الرابع الميلادي (Grubbs,2002,P.108)

أما عن أحوال القديسة ماكرينا في هذا الصدد فقد كان من وافر حظها أن تحصل علي الدعم المادي والمعنوي من قبل أسرتها، فبعد أن حسمت قرار عدم الزواج واتجاهها لسلك الرهبنة لقيت ذلك الدعم الأسري علي نقيض ما حدث لقريناتها مخالفة بذلك الأطر التي وضعت لمثيلاتها في ذلك الحين (Grubbs,2002,P.108)

ويعزو اتجاه ماكرينا لحياة الرهبنة إلي اللحظة التي رفضت فيها فكرة الزواج مرة أخري عقب وفاة خطيبها، وقد بنت فلسفتها علي أساس من عقيدتها الدينية التي تري من خلالها أنها لم تكن تعيش في ملكوت خالد، وأن هذا العالم المادي ما هو سوي شئ مخلوق مرتبط بزمن، وسوف ينتهي بمجئ المسيح وعن فكرة الزواج والإنجاب فما هي إلا وسيلة تعزي بها البشرية نفسها عن فكرة السقوط التي بدأت مع خطيئة آدم وحواء، فالبشر يرون احتمالية تمديد المستقبل من خلال إنجاب الأطفال. كما أنه مع بلوغ الجنس البشري حد الكمال فإن علاقة القلق لساعة الوقت البشري– والتي تقاس بالزواج والولادة والموت – سوف تصمت بمقدم المسيح. (Brown,2008,P.61))

وحينئذ بادرت ماكرينا بإقناع والدتها في أن تحول منزل الأسرة القائم في قرية أنيسي Annesi( ) ببونتوس إلي دير،وذلك في عام 357م (النيصى،2001،ص.39؛ Bateson,2006,P.140;Ponticus,2006,P.345;Nazianzus,2006,P.8) ، وكان هذا الدير غاية في الروعة حيث كان يقع أسفل التلال المليئة بالأشجار في وادي إيريس، وكانت هيئته مدعاة للتأمل والصفاء النفسي (Brown,2008, P.608) ، وما لبثت ماكرينا أن وجهت والدتها إلي حياة الزهد والتقشف بديلًا عن الحياة الناعمة المرفهة التي كانت تحياها، ومن ثم قامت بإعفاء فتيات الخدم من الخدمة، بل وعتقتهن وجعلتهن يساوينها في كل شئ، وكان هذا الصنيع هو الخطوة الأولي لوضع قدم إميليا علي أول درج في سلم الرهبنة، ثم تأتي الخطوة الثانية حين قامت إميليا بتقسيم ثروتها المتبقية وممتلكاتها علي أولادها جميعًا لتتفرغ في مشاركة ابنتها ماكرينا في حياة الرهبنة بصورة عملية وطريقة فعلية (النيصى،2001،ص،39-40؛42)

ويعد ما قدمته ماكرينا وإميليا اللبنة الأولي في تأسيس المدرسة الرهبانية في أنيسي، والتي اختلفت نظمها عن أنظمة الأديرة الأخري ويمكن إطلاق مسمي "الرهبنة المنزلية" علي ذلك النظام الذي أسسته القديسة ماكرينا، حيث اقتصر في بدايته عليها وعلى أمها والخادمات العذاري، ثم ما لبث أن انضم إليهن عدد من أقارب ماكرينا من عذاري فتيات أسرتها الكبيرة، وتعايشن جميعًا بالدير سويًا ما يقرب من الثلاثين عاما (Grubbs,2002,108)

كما ضم دير أنيسي بعضًا من السيدات الأرامل فلم يقتصر علي العذاري من الفتيات فحسب، والتي من أبرزهن الأرملة فستيانا Vestiana( )والتي كانت مقترنة برجل ذي جاه وثروة، وما لبث أن توفي لتصبح أرملة، وهي في ريعان شبابها و تلتحق بالدير مشاركة العذاري حياتهن الفضلي (النيصى،2001،ص.61) ، كما كانت لمباديا ( )من ضمن الأرامل اللاتي التحقن بنفس الدير لتجعلها ماكرينا مسئولة عن جوقة العذاري (أو الكورال هي فرقة موسيقية تترنم بالألحان والصلاة) (النيصى،2001،ص.61) ، كما ضمت القديسة ماكرينا للدير بعضًا من النساء الفقيرات اللاتي آوتهن

عقب مجاعة أنطاكية عام 368م، بعدما فقدن المأوي وتعرضن لضغوط ومصائب شديدة بسبب ظروفهن القهرية، وكن خليطًا من العذاري والسيدات (النيصى،2001،ص.60) . مما يعني أن الدير لم يقتصر علي نوعية أو طبقة خاصة كما أنه كان ملاذًا لكل امرأة فقدت المأوي.

لو تأملنا النظام المعيشي بالدير، نجد أن ماكرينا ورفيقاتها قد عشن حياة أقرب للتقشف بعيدًا عن مباهج الدنيا، وقد خلعت ماكرينا عن نفسها كل ما يمت إلي حياتها السابقة من صلات، وتجردت من عاداتها السالفة، وصارت تجاري حياة فتيات الطبقة الدنيا من العذاري في طريقة معيشتهن بلا أية طبقية أو تمييز، بل وتساوت معهن في المطعم والمشرب والنوم، متحررة من كل روابط الحياة المرفهة وما تشملها من غطرسة أو حسد أو ضغينة، فقد كان هدفهن الحقيقي والأساسي هو التأمل في الحقائق الإلهية والصلوات المتواصلة، والترانيم الدائمة ليلًا ونهارًا (النيصى،2001،ص.43) ، ويرجع حرص ماكرينا ورفيقاتها علي إقامة الصلوات المتواصلة إلي فكر عقائدي يتمثل في إمكانية حلول الروح القدس داخل الجسد المؤمن، ومن هنا تأتي الأهمية القصوي لتلك الصلوات، والتي من شأنها وحدها – من نفس الفكر العقائدي – التغلب علي خطيئة الأجداد (خطيئة آدم وحواء)، وكذلك التغلب علي القوي الشيطانية . (Louth,2006.B,P.375) ، ومن هنا يمكننا القول بأن الحافز الأساسي الذي حدا بماكرينا ورفيقاتها إلي التطور والترقي في طريق الفضيلة هو الانتقال إلي الحياة الملائكية. (النيصى،2001،ص.43؛Bayan,1930,P.741)

ومما يجدر الإشارة إليه، من آراء القديسة ماكرينا رفضها استخدام القياس المنطقي لاستنتاج بعضًا من المسائل الدينية (Nyssa,1892,P.691) . فهذا النوع يطبق المنهج الاستنتاجي من خلال استخدام فرضية أو أكثر وصولًا لفرضية مجهولة أو تأكيدًا لصحة فرضية معلومة، فقد استنكرت ماكرينا استخدام هذا الأمر لقياس مسائل االدين، خاصة المرتبطة بمعجزات السيد المسيح، وما يتصل بأسفار الإنجيل، فهي – من وجهة نظرها – حقائق ملموسة لا تحتاج إلي نقاش أو جدال.

كما واجهت ماكرينا بصلابة وصمود شديدين ما ظهر من اعتراضات فلسفية علي العقيدة المسيحية والمتمثلة في خلود الروح وقيامة الجسد ( ). فاعتقادها الديني يقوم علي أساس أن حالة الإنسان الأخروية لن تكون بالنفس الروحية مجردة عن الجسد، بل أن تلك الأجساد الفانية ستستعيد الحياة وتلحق بأرواحها دون انفصال عنها (Louth,2002.A,P.299)، وماكرينا بذلك تقوض فكرة التناسخ والتقمص الروحي لدي العقائد الوثنية السابقة للمسيحية، فاعتقاد الوثنيين في فكرة تناسخ الأرواح يقوم علي أساس أن (النفس البشرية لا تفني وإنما الذي يفني هو قميصها المتمثل في الجسد الذي كانت تحل فيه، وبفناء الجسد تنتقل لجسد آخر لتحل فيه . Nyssa,1896,P.721-722,741)) ، وهو ما واجهته ماكرينا بالرفض.

ومما لا يقل خطورة وأهمية من الأدوار التي قامت بها ماكرينا تأثيرها الديني علي اخوتها الذي حدا بهم لتبني وجهة نظرها وتخليهم عن ما اعتقدوه من أفكار سابقة، بل وتغيير مسار حياتهم من الاتجاه الدنيوي إلي الاتجاه الديني الملتزم. ولعل أبرز مثال ونموذج لذلك تأثيرها علي أخيها باسيليوس الكبير، وكان لتوه قد أتم دراسته في أثينا في مجال الخطابة، والرياضيات، والفلسفة فحذقها، فما أن عاد إلي وطنه عام 356م (باسيلوس،1960،ج1،ص.137؛Schaff,1989,P.631) ، حتى عمل مدرسًا لعلم البيان (الخطابة) في قيصرية لمدة عامين، فكانت تلك الأحداث مثار انزعاج شديد لماكرينا حيث رأت أن أخاها غائصًا لأذنيه في بحر من الزهو بموهبته الخطابية، بل ويزداد تعمقًا يومًا بعد آخر في دراسة تلك العلوم،

والتي رأت أنها تبعده أكثر فأكثر عن طريقه الإيماني، فكان لابد من المبادرة بالتدخل، فدخلت معه في نقاشات موسعة من خلال منطق وحجج إيمانية حتي استطاعت بتأثيرها القوي أن تقنعه وتحثه علي الاتجاه لحياة الرهبانية (باسيلوس،1960،ص.138؛النيصى،2001،ص.38) ، ما صنعته ماكرينا مع باسيليوس أثار دهشة المؤرخين وصار موضع نقاشات وجدل فيما بينهم، بسبب أن ماكرينا قد تلقت تعليمها من الكتاب المقدس، وكان تلقينها العلمي أساسه المنزل الذي نشأت فيه، فكيف استطاعت صاحبة العلم المحدود أن تحول باسيليوس الذي درس بأكاديمية أثينا عن موقفه، بل وتحيله إلي حياة الزهد والرهبنة الحقيقية رغم سعة ما حصله (Gameron,2008,P.668))

وهنا نجد أثر ماكرينا علي باسيليوس أن صار أكثر شغفًا وتعمقًا في سلك حياة الرهبنة، فقام بزيارة كل من مصر وسورية وفلسطين للتعرف علي طبيعة حياة الرهبنة والتي بدأت وخرجت من تلك الدول (Schaff,1989,P.643) ، وبعد عودته من رحلته الطويلة قام بإنشاء دير للرجال نفس نفس قرية أنيسي ببونتوس ( ) قبالة الدير الذي أسسته ماكرينا وأمها، وقام بممارسة الرهبنة بمثالية شديدة علي غرار ما مارسته ماكرينا في دير النساء . (Ponticus,,2006,P.6;Delehaye,1948,P.141)) . ونري في هذا الصدد أن نجاح ماكرينا في إقناع أخيها لم يكن لمنطقها القوي أو براعتها الاقناعية فأخوها يفوقها في هذا النحو بمراحل بما حصله من دراسات فلسفية أو منطقية، فلو لجأت لهذا لكانت هي الخاسرة، ولكن دعونا لا نتناسي النشأة الدينية التي رضعها وغذاها باسيليوس منذ صباه، ولعل ماكرينابل ولدرجة اليقين أنها قد ضربت علي هذا الوتر، وإلا كيف نفسر ذلك التحول السريع ؟! فضلًا عن كونها مثلت دور المعلمة لأشقائها فهي تدرك تمامًا مواضع التأثير لدي أخيها. وعلي الرغم من قيادة ماكرينا لباسيليوس نحو حياة الرهبنة، إلا أنه لم يجد غضاضة في الكتابة عن أخته ماكرينا ولم يغفل أو يفرط في ذكر مناقبها.

أما عن تأثيرها الآخر فكان علي القديس غريغوريوس النيصي، حيث ظهر ذلك الأثر القوي في تغير أسلوب توجهه من الحياة العلمانية إلي الحياة الدينية. (Nyssa,1892,P.14;Ephesus;1990,P.188))، ولعل وصفه إياها في كتاباته بـ "المُعلمة" و "معلمتنا" وهو اللقب الذي انفردت به ماكرينا عن قريناتها مما يوضح أثرها التربوي والرهباني (النيصى ،2001،ص.101)، ومما يوضح ذلك الأثر، أن غريغوريوس قد تقاعد فترة من حياته بدير أخيه باسيليوس ببونتوس (Nyssa,1892,P.14). والملاحظ أن غريغوريوس لم يُشر إلي الدور الذي لعبته أخته في توجهه الديني بالرغم من عبارات التقريظ في حديثه عنها.

ومما ينسب إلي ماكرينا من كرامات ترقي للمعجزات أنها استخدمت دموعها المتساقطة لتعجن بها طين الأرض، لنستخدمه كمرهم يوضع علي العيون المصابة أو علي جراح الجرحي فيتم شفاؤهم بإذن من الله (Bayan,1930,P.741) ، وقد استخدمت نفس الوسيلة في علاج نفسها أيضًا، فقد كانت تعاني من وجود ورم بثديها رافضة كل محاولات والدتها للذهاب للطبيب للتداوي فكانت تخجل من أن يطلع كائن من كان علي إحدي عورات جسدها، فما كان منها سوي أن واظبت علي الذهاب إلي الكنيسة بصورة مكثفة لتداوم علي الإكثار من إقامة الصلوات، وفي إحدي المرات تدخل أمها عليها لتجدها متضرعة تناجي الرب بطلب شفائها، واستفاضت دموعها علي الأرض فعملت علي خلطها بطينة الأرض لتضعه كدهان علي موضع الورم، وطلبت من أمها أن تنقش رسم الصليب علي مكان الورم، فإذا بالورم يزال بإذن ربها، ولم يتبق منه سوي ندبة صغيرة كأنما تذكرها بضرورة دوام الشكر لعطية الله الممنوحة لها.(النيصى،2001،ص.63-64) وتبرز كرامات ماكرينا في شفاء مرضي آخرين بنفس الوسيلة وبفضل

تقربها من الرب بكثرة الصلوات التي تتضرع فيها بخشوع شديد. ومن تلك الكرامات شفاء طفلة ( ) علي يديها كانت مصابة في قرنية العين وكانت أم الطفلة قد اصطحبتها إلي دير النساء بأنيسي كي تمنحها ماكرينا بعضًا من بركاتها، وما أن وقع بصر ماكرينا عليهما إلا وأصرت علي ضرورة أن يتناولا وليمة علي "المائدة الرهبانية" برفقتها، ثم تضع ماكرينا الطفلة علي ركبتيها، وأخذت تتمتم بالدعاء حتي لامست شفتاها عيني الطفلة فإذا بالطفلة ترتد مبصرة، وهنا نبهت ماكرينا الأم بأن لديها دواء فعال لعلاج العيون ليساعد الطفلة علي الإبصار الكلي لا الجزئي، إلا أن الأم التي وقعت تلك الكرامة أمام عينيها لم تعبأ بأخذ الدوء وانطلقت خارج بطفلتها من الدير، فلما أن تذكرت كلمات القديسة عادت إلي الدير لتناول الدواء، استأذنت حارس الدير في مقابلة القديسة ماكرينا لإحضار الدواء، حتى تكتمل الكرامة وتبصر ابنتها بصورة كاملة مُحدقة في أمها وفيما حولها من مشاهد كأنما لم تصب بشئ قبلًا، وهنا أدركت والدة الطفلة أن الدواء الذي تقصده القديسة إنما هو العلاج بالصلاة والتضرع الذي قامت ماكرينا بآدائه منذ لحظة مغادرة الطفلة للدير، فكان الدواء الإلهي (النيصى،2001،ص.69-70)

ومن الطريف أن زوج تلك السيدة كان ينتظرها خارج الدير، وما أن علم بشفاء طفلته حتي غمرته الفرحة الطاغية ليتذكر في ذات اللحظة ما ورد في الإنجيل من معجزات ليحدث زوجته قائلًا: "أين العجيب في أن تعيد يد الله البصر إلي العميان، عندما تقوم خادمته بعمل يكاد لا يقل عن هذه المعجزات بشفائها الأمراض نفسها بإيمانها بالله . (النيصى،2001،ص. 70)

ونري هنا ضرورة أن نُقيم هذه المعجزات السابقة، فنحن لا ننكر وجود كرامات الأولياء والصالحين ونتلمسها كثيرًا في تراثنا أو حاضرنا، ولكن الشريعة ذاتها لا تعول عليها في إثبات أو ترسيخ عقيدة، فشأنها شأن الرؤي المنامية، كما أن هذه المعجزات قد أوردها شقيقها غريغوريوس وطبقًا للقاعدة القانونية فشهادته مجروحة لأنه أراد أن يرسم هالة من القداسة حول أخته، وثالث الملاحظات مدي تطابق تلك الكرامات مع معجزات السيد المسيح التي أجراها الله علي يده ومن هنا يتضح مدي التأثير والتاثر. ومن ثم فنقف في منتصف المسافة فلا ننكر مقولة غريغوريوس ولا نجزم بها.

ومما يشير إليه غريغوريوس النيصي من كرامات شقيقته في مدوناته أن معجزاتها قد تعددت، إلا أنه أحجم عن ذكرها، لأن ضعيفي الإيمان والمستغرقين في حياتهم الدنيوية لن يتقبلوا تصديق تلك الكرامات أو تستوعبها نفوسهم ضعيفة الإيمان، فلن يدركوا مدي قدرة الله ومعجزاته (النيصى،2001،ص. 71). مما يوضح مدي الحرج الذي كاد أن يلحق به إذا ما تم ذكرها.

أما عن مظاهر الزهد التي اتسمت بها حياة ماكرينا تمثلت فيما عاشته من حياة تنحو للتقشف الشديد وبعيدة كل البعد عن أي مظهر من مباهج العيش، فقد وزعت – كما أسلفنا – كل ممتلكاتها علي الفقراء لتعيش حياة أقرب للبساطة، فلم تكن تملك من المتاع سوي سرير مكون من لوح خشبي ترقد عليه، وآخر تستخدمه كوسادة. أما عن زينة الملبس فلم تكن لتهتم بها علي الإطلاق، فلم تكن تملك سوي معطفٍ وقناع رأس وحذاء. (النيصى،2001،ص.62،52،48-63)

خامساً: ظروف وفاة القديسة ماكرينا :-

من المفارقات القدرية أن تكون وفاة ماكرينا في أحضان أخيها غريغوريوس النيصي، فعلي الرغم من أن تسع سنوات قد باعدت بين رؤية كل منهما للآخر نتيجة الظروف التي تعرض لها من نفي وإقصاء أشير إليه سابقا، ولكن حين سنحت الفرصة بادر بالخروج من كبادوكيا ( ) عام 379م، كي يزور أخته بأنيسي لشوقه الشديد لرؤياها (النيصى،2001،ص.71؛ Nyssa,1892,P.17) ، بيد أن غريغوريوس لم يتبق علي وصوله أنيسي إلا يوم واحد حتي يري رؤيا جعلته يترقب أخبارًا غير سارة لا تطمئن، فقد رأي بأنه يحمل بين يديه "ذخائر شهداء" ينطلق منها بريق يبهر البصر حتي أنه قد أثر علي رؤيته، وتكررت تلك الرؤية ثلاثًا بذات اليوم، فلما أن وصل إلي دير النساء سأل حارس الدير عن أخته القديسة ماكرينا فعلم منه بمرضها. وفي تلك اللحظة تبادرت الرؤية إلي ذهنه ليربط بين الحدثين فشعر بغصة وقلق، ومما زاد من قلقه أنه ابصر أخته – حين دخل إلي مخدعها – في أشد حالات الإنهاك ( ). مما يدل علي أن غريغوريوس قد امتلك حدسًا وشفافية تتقدم الأحداث.

وهنا استشعرت ماكرينا ما بدا علي صفحة وجه أخيها من أمارات القلق والتوجس، فأرادت أن تذهب وحشته، فقامت معتدلة من رقدتها في محاولة منها بعدم إظهار آلامها لتخفف عنه مشاعر الحزن، وبمناورة ذكية أخذت تمارس معه دورها التعليمي متطرقة إلي الحديث عن الطبيعة البشرية، وعن النفس، والخلود، والقيامة. وأوضحت سبب الحياة في الجسد، ولم وُجد الإنسان، وما الذي يجعله قابلًا للموت، وكأنما ما قامت به ماكرينا كان توطئة وتمهيدًا يؤهله لتقبل موتها برضا إيماني. (النيصى،2001،ص.49،17-50)

وبالرغم من حديث الأخوين الشيق الذي استمتعا به، إلا أن ماكرينا طلبت من أخيها التوجه إلي الاستراحة التي أعدت له في إحدي الحدائق المجاورة للدير، كي يستجم من عناء السفر، فانصاع الأخ لطلب شقيقته احترامًا لرغبتها، وإن كان لا يرغب في ذلك بقرارة نفسه كما قرر: "عملًا بروح الطاعة لتلك التي كانت معلمتي، انتقلت إلي الاستراحة في هذا المكان" . (النيصى،2001،ص.50) ، وما سبق يحمل دلالة كبري علي ما تمتعت به ماكرينا من مكانة وتبجيل وإحترام في نفس أخيها غريغوريوس، وما كان يكنه لها من طاعة وتقدير باعتبارها قدوته، ومعلمته الأولي. وعلي الرغم مما تدرج إليه وارتقاه من مكانة دينية مرموقة كانت القديسة ماكرينا – بفضل قربها الإيماني والروحاني من الله – تمتلك من شفافية الحدس ما تستشعر به قرب أجلها، فلما أن عاد إليها غريغوريوس بعد أن نال كفايته من الراحة، بدأت تسرد عليه شريط حياتها وحياة عائلتها، وكأنما تستودعه هذا التاريخ الذي ماتلبث أن تفارقه، ثم توجهت بحديثها نحو عائلة أبيها، وما حازوه من صيت وشهرة كبيرين ليس بفضل الثراء، ولكن لجلدهم وصبرهم أمام ما عانوه لإيمانهم المسيحي، ثم حولت دفة الحديث إلي استقصاء أحوال غريغوريوس عاتبة عليه تفلت الأمور منه لينفي من قبل الإمبراطور فالنز.وبالرغم مما كانت تعانيه ماكرينا من آلام لم يكن ذلك ليصدها عن أداء صلاتها، فلما حانت صلاة المساء قامت بتوجيه غريغوريوس نحو الكنيسة للصلاة بها، أما هي فقد قامت بأداء الصلاة في غرفتها (النيصى،2001،ص.53-54) ونظرًا لما تمتع به غريغوريوس من شفافية الإيمان، فعند عودته لها في اليوم التالي أحس أن لحظات النهاية قد أزفت، وأنها اللحظات الأخيرة من حياة شقيقته، وهنا طلب بتوجيه سريرها ناحية الشرق ( ). أما ماكرينا فقد توقفت عن الكلام، وقامت بأداء صلاتها الأخيرة مهمهمة بتراتيلها إلي الله، وبعد فراغها من صلاتها لاحظ غريغوريوس أن شفاة ماكرينا تتحرك ثانية فأدرك بأنها تؤدي صلاة شكر النور( )، لأنه لما تمت إضاءة المصباح بسبب حلول

الظلام قامت ماكرينا بفتح عينيها موجهة نظرها ناحية الضوء. فلما فرغت من صلاتها قامت برسم إشارة الصليب، ثم توقفت أنفاسها وحركتها لتفارق الحياة (النيصى،2001،ص.58)

وقام غريغوريوس بتنفيذ ما أوصته به سلفًا، وهو أن يغمض عينيها، ويطبق شفتيها بيده هو، وأن يضع ذراعيها مُلقتين علي صدرها، مثل حالات تجهيز كل ميت. وقد وجد جثمانها كله بوضعية متناسقة لا تحتاج لأي تدخل (النيصى،2001،ص.59)، أما عن رد فعل راهبات الدير، فقد التزمن السكينة والهدوء بادئ الأمرمراعاة لوصية ماكرينا، والتي كانت في حياتها تجابههن باللوم لو خرجن عن هذا الالتزام، فقد كانت إرشاداتها في دروسها التي تتفق مع روح المسيحية تتمثل في إلتزام الهدوء، وعدم البكاء إلا في الصلاة خشوعًا، غير أن بعضهن لم تتمالكن أنفسهن وأجهشن في العويل والبكاء ( ) لفقد من كانت تمثل الأم والعائلة بالنسبة إليهن، ولكن غريغوريوس دعاهن لالتزام الهدوء فما يفعلنه بعيد عن روح المسيحية فامتثلن لأمره (النيصى،2001،ص.60) . وهذا الحزن الشديد من الراهبات لأنهن كن يشعرن تجاه ماكرينا بكونها تعويضًا لهن عن الهيكل الأسري الذي حرمن منه.

أما عن تجهيز جثمان ماكرينا فقد قام القديس غريغوريوس بالتشاور مع كل من الراهبة "فاستيانا" و "لامباذيا" حول ذلك الأمر، وما ينبغي أتباعه في مثل هذا الشأن، ودار بينه وبين فاستيانا حوار بينت خلاله بأنه ينبغي معرفة ما كانت القديسة ماكرينا تجده مناسبًا لتلك الحال، حتي لا يتخذوا أمرا لم يكن ليروقها فعله، فهو بالتالي لن يرضي الرب أيضًا (النيصى،2001،ص.61) ، كما كشف حواره مع لامباذيا بأن ماكرينا لم تكن تملك ما تزين به مضجعها الجنائزي، فالزينة الحقيقية في رأيها إنما هي حياتها الطاهرة، فلتكن كفن جنازتها، مما يعني أن ماكرينا لم تعطِ أية اهتمامات لمثل هذه الأمور، وفي نهاية الحوار طالبت لامباذيا بضرورة الإسراع بتهيئة جثمان القديسة ماكرينا وفقًا لما أوصت به (النيصى،2001،ص.61-62)

ومن ثم قام غريغوريوس بجلب ثوب أبيض من قماش ناعم بسيط تكفن به ( ) وتم تغطيتها برداء أسود بناءًا علي إشارة من الراهبة لامباذيا التي أرتأت أن البياض سيجعلها تشبه العروس المزينة لعرسها، وهو ما يتعارض مع روح الدير النسكية، وأسرعت لامباذيا بتغطيتها برداء أسود كانت إميليا والدة ماكرينا قد أهدته إليها سابقًا (النيصى،2001،ص.64)

وقامت فاستيانا بتجهيز الجثمان وإعداده للدفن، وأثناء إنهماكها في ذلك الأمر لاحظت أن الراحلة مازالت ترتدي العقد ذا الخيط الرفيع المنتهي بخاتم معدني محفور عليه صليب، فما كان ذلك سوي هدية خطوبتها (النيصى،2001،ص.63؛ Nyssa,1892,P.17)، إضافة إلي صليب من الحديد (Nyssa,1892,P.17;Coon,1977,P.50) فخلعت فاستيانا تلك المتعلقات، وسلمتها لغريغوريوس الذي أعطاها الصليب، بينما احتفظ هو بالخاتم (النيصى،2001،ص.62-63)

واتسمت مراسم الجنازة بالمهابة، وكانت بمثابة وقفة تظاهرية نظرًا لأعداد الأفواج التي صاحبت تلك الجنازة (Velkovska,2001,P.30) ،حيث انتشر خبر الوفاة بسرعة فائقة في المناطق المحيطة بأنيسي، فتوافدت أعداد غفيرة من الرجال والنساء حتي ضاق المكان بهم لشدة اكتظاظهم، فقام غريغوريوس بالفصل بين الرجال والنساء، وصفهم صفين، وضم النساء إلي جوقة العذاري، والرجال إلي فريق الرهبان قبالة دير الرجال، وما لبث أن تعالت صيحات الراهبات والرهبان بترتيل المزامير(النيصى،2001،ص.65) ، وبذل غريغوريوس جهدًا كبيرًا ليجعل التراتيل متناسقة، ولا يشذ أحدهم عن

جماعية الإنشاد، وظلت تلك التراتيل مصاحبة لموكب الجثمان الجنائزي حتي مثواه الأخير ليتم دفن ماكرينا.(النيصى،2001،ص.66)

ومن الملاحظ أن ما حدث بتلك الجنازة جعلها نسخة تطابق ما كان يجري في جنازات تأبين الشهداء (النيصى،2001،ص.66) . فذاك الحشد الكبير عكس مكانة القديسة ماكرينا وجعلها في وضعية مصاف الشهداء لما بلغته من قداسة أهلتها لذلك.

أما عن خطة تأمين الموكب، فقد قام غريغوريوس بوضع خطة تحقق ذاك الهدف، حيث جعل "أراكسيوس" أسقف أنيسي في صدر الموكب، وجعل اثنين من أصحاب الرتب العليا بالكنيسة يؤمنان مؤخرة الموكب. أما الجثمان فقد قام بحمله عدد من كهنة الأسقف أراكسيوس، وقد روعي أن يسير الجثمان بتؤدة وهدوء نتيجة كثرة الحشود المصاحبة له، والتي زادت أعدادها بمسير الموكب وعلي طول طريقه، حتي أن الأماكن المحيطة بالدير لم تكن تستوعب تلك الأعداد الغفيرة (النيصى،2001،ص.66) ، ولإضفاء بعض المظاهر الروحانية قام بعض الشمامسة بحمل الشموع الموقدة ( ) مصاحبين سير الموكب حتي وصوله لمثوي الدفن (النيصى،2001،ص. 66)

دفنت القديسة ماكرينا في ضريح كنيسة الشهداء القديسين ( )، بالقرب من بقايا شهداء سبسطية الأربعين(Leemanns,2003,P.13)) ، وما أن وصل الموكب الجنائزي إلي بهو الكنيسة الداخلي فُتح الضريح – الذي دفنت فيه أمها إميليا ووالدها أيضًا – لإنزال الجثمان فيه، وهنا انطلقت صرخات وعويل بعض الراهبات، وأثر ذلك في بقية الحضور الذين انفجرت حلوقهم بالنشيج مما أشاع الفوضي وأثر علي الطابع المقدس للترتيل (النيصى،2001،ص. 66)

ثم لم يلبث أن تم تغطية التابوت بكفن جديد، ليقوم كل من غريغوريوس وأراكسيوس بحمل الجثمان ليضعاه بجوار أمها إميليا – بناء علي وصيتها – فقد كانت الأم وابنتها تتمنيان ألاتفترقا حتي بعد مماتهما كعهدهما أثناء حياتهما التي تقاربا فيها دومًا بالمودة والمحبة (النيصى،2001،ص. 67)

أهم النتائج:-

تتبعت هذه الدراسة حياة القديسة ماكرينا الصغري، وما أثرت عليه من حركة الرهبنة النسائية، من خلال كتابات أخيها غريغوريوس النيصي، وقد أوضحت الدراسة النقاط التالية:

1- لم تقتصر الرهبنة الأنثوية في دير النساء بأنيسي علي العذاري فقط، بل انضم إليهن صفوة السيدات وخاصة الأرامل، فضلًا عمن فقد المأوي والملجأ.

2- تخصيص بعض الأغنياء أوقاف خيرية للإنفاق علي الفقراء، فضلًا عن تحويل البعض منازلهم لأديرة، ليتحقق ما ينشدونه من دور خدمي للدين.

3- مثلت القديسة ماكرينا الصغري بالنسبة للراهبات الأم والعائلة التي تعوضهن عن الهيكل الأسري الذس حرمن منه.

4- تعتبر إميليا والدة ماكرينا هي الحجر الأساسي في اتجاه ماكرينا إلي سلك طريق الرهبنة من خلال ما غرسته في شخصيتها من شغف ديني وتعاليم عقائدية تحض علي الفضيلة.

5- تمتعت القديسة ماكرينا بمقومات شخصية اتسمت بالمسئولية التي أحيطت بالعقلانية والرزانة وتسيير دفة الأحداث نحو مرفأ الأمان.

6- جاء استمرار ماكرينا في ارتداء خاتم خطيبها المتوفي لميلها إلي حياة التبتل وليس وفاء له، وذلك لتقطع الطريق أمام أي متقدم إليها باعتبارها علي عهدها المقطوع مع خطيبها الراحل، هذا إلي جانب ما يمثله الخاتم من رمز ديني يتناسب مع حياة الرهبنة التي تخيرتها.

7- كان للثبات العقائدي الأصيل والمثابرة لجدود القديسة ماكرينا، قد طبعت الأسرة بآثار إيجابية، تركت أثرها علي أحفادهم الذين تربوا ونشأوا نشأة دينية صارمة، لا تركن إلي مغريات دنيوية أو تميل لعلوم مدنية، والدليل علي ذلك أن أغلبهم قد صاروا أساقفة وقديسين.

8- أراد غريغوريوس النيصي من خلال ذكر معجزات ماكرينا أن يرسم هالة من القداسة حول شقيقته وربطها بمعجزات السيد المسيح الذي سارت علي دربه طويلًا، وكرست حياتها لتحقيق هذا المأرب.

9- لم يكن نجاح ماكرينا في اقناع أخيها القديس باسيليوس الكبير تغيير اتجاهاته إلي الاتجاه الديني بسبب منطقها القوي أو براعتها الاقناعية، لأن اخوها يفوقها في هذا المجال بمراحل بما حصله من دراسات فلسفية وبلاغية، بل بسبب النشأة الدينية التي صبغ بها منذ صباه، فقامت ماكرينا بالضرب علي هذا الوتر.

10- لم يُشر غريغوريوس في كتاباته إلي الدور الذي لعبته أخته في توجهه الديني علي الرغم من عبارات التقريظ في حديثه عنها.

11-علي الرغم مما وصل إليه غريغوريوس النيصي من مكانة دينية مرموقة، إلا أنه كان يكن لماكرينا كل الاحترام والتقدير والتبجيل، باعتبارها معلمته الأولي وقدوته، وقد زهر ذلك جليًا عند زيارته لها في أنيسي أثناء فترة مرضها الأخير.

12-كانت الأخت الكبري في الأسرة، تمثل الأم البديلة رعاية وإرشادًا.

13-وجدت طائفة تتجه للتنسك العملي مع الزهد المقترن بمساعدة المحتاجين في محيطهم الخاص، وقد تمثل ذلك نوكراتيس شقيق ماكرينا وأتباعه.

14-الاهتمام الكبير بالطقوس الجنائزية وخاصة للشخصيات ذات التأثير الديني الكبير، ومشاركة حاشدة تجمع بين رجال الدين وطوائف الشعب، كما أن مكان الدفن له دلالة عما حازه المتوفي من مكانة.

15-إن الحشد الكبير الذي صحب جنازة القديسة ماكرينا الصغري عكس مكانتها بجعلها بين مصاف الشهداء لما بلغته من درجة قداسة أهلتها لتلك الوضعية.

16- كان للرؤي المنامية أهمية عظيمة لدي الطائفة الدينية فكانت تحرك توجهاتهم من خلال الربط بين الرؤية المنامية وما سيحدث علي أرض الواقع.

الهوامش الختامية

---

(1)غريغوريوس النيصي، ولد في سنة 335م في قيصرية كبادوكيا، ورسم أسقفًا علي نيصص عام 372م، لكنه تعرض لجملة من المتاعب الشديدة حين قام الإمبراطور فالنز عام 376م بنفيه، إلا أنه يعود لمكانه من منفاه بعد عامين 378م ليعود ويعتلي كرسيه الأسقفي مرة أخري، وتوفي في عام 394م، عن تسع وخمسون سنة. انظر، (النيصي، 2004م، ص7 – 9 ؛ Leemans, 2003, p.78.)

(1)بلدة صغيرة في كبادوكيا (تركيا حاليًا) علي الطريق من أشيرا إلي قيصرية، استولي عليها الأتراك بعد موقعة مانزكرت عام 1071م. انظر.(Leemans,2003, p.78; Clive, 1991, p.1506)

(1)كتبت سيرة القديسة ماكرينا عقب وفاتها في ديسمبر عام 379م، وقد ظهر الأثر والتأثير الأفلاطوني في تسجيل تلك المدونة من حياة القديسة ماكرينا، بل وفي كتابات غريغوريوس النيصي بوجه عام، حيث قام بنقل الفلسفة القديمة من مستواها الوثني إلي ما تتناسب معه من مستوي مسيحي، ومن ثم فإن الإطار الأفلاطوني كان مغلفًا لسيرة شقيقته ماكرينا.وكان كتاب فيدرويس Phoedrus (إحدي مؤلفات أفلاطون) عن الروح، مسيطر علي الخط العام للكتابة بل واتخذ كنموذج محتذي لغريغوريوس أثناء كتابته هذه السيرة، مستتبعًا فيه طريقة السرد الفني الرفيع، انظر(النيصي، 2001، ص17 ، 26 – 27 ؛ Cameron., A.,2008, p.680; Hervey, 2006, p.385.)

(1)من أهل أنطاكية، حاز شهرة عالية بكل بلاد بونتوس نظرًا لتقواه واستقامته وإلي كونه معلمًا للبلاغة (البيان)، كما أنه كان محاميًا وخطيبًا بليغًا. انظر(باسيليوس ، 1960م، ص132 Basset, 1913, p.132; Caesarea, 1926.Introduction)

(1)من أسرة ميسورة الحال، حيث كان والدها من كبار ملاك الأراضي في بلاد بونتوس، لقي عذابًا شديدًا حتي الموت بسبب إيمانه بالمسيحية. انظر(باسيليوس، 1960، ص132)

(1)كانت ماكرينا الكبري تلميذة للقديس غريغوريوس العجائبي. انظر(باسيليوس، 1960، ص132)

(1)نشأت في مدينة أيقونية، عرفت بجمالها الفائق، وخلقها الحميد بجانب واسع علمها، تبحرت في الفلسفة، وأتقنت الشعر، وقد تمت خطبتها إلي ابن أحد الأشراف يدعي "تاميريس Thamyris"، دخلت المسيحية عام 45م علي يد بولس الطرسوسي، حين كان يقوم بالتبشير بالمسيحية في مدينة أيقونية وقتئذ، مما أوغر صدر خطيبها عليه فعمل علي تحريض والي المدينة علي أن يزج به إلي السجن، وتم له ما أراده، وهنا تسللت تكلا إلي السجن لتساند وتدعم معلمها، وتم جلد بولس ونفي خارج المدينة، وتم القبض علي تكلا، وقد حاول القاضي إقناعها بالارتداد عن المسيحية إلا أنها أبت، ولجأوا إلي أشعال النيران أمامها لترتدع، وهنا تحدث معجزة بهطول المطر بغزارة حتي أطفئت النيران دون أن يلحق أي أذي بتكلا، وتم تهريبها خارج المدينة لترافق بولس إلي أنطاكية لتصادفها مشكلة أخري، حين حاول أحد أعيان أنطاكية اغتصابها، إلا أنها أفلتت منه لتكشفه أمام الجميع، وقد قامت بتمزيق ثوبه، فأراد الانتقام منها بثلاث محاولات لقتلها، وباءت جميعها بالفشل، فلما آيس منها أطلق سراحها، فخرجت من أنطاكية حرة طليقة، وعملت في التبشير بالمسيحية بين الوثنيات. كما كان لتكلا شهرة في تطبيب بعض المرضي الذين كانوا

يأتون لنيل بركاتها، مما جعل أطباء المدينة يتأثرون بشدة في مباشرتهم لأعمالهم التي توقفت لأن الناس هجروهم بسببها، ولم يعد هناك مرضي يلتمسون العلاج لديهم، فسلطوا بعض الرجال لقتلها، فلما ذهبوا لتنفيذ جريمتهم، وجدوها تصلي شاخصة بعينيها إلي السماء دون ارتباك، وتم قتلها. (www.st-takla.org)

[1]عرف عند المسيحيون باسم بولس الرسول، وهو أحد قادة الجيل المسيحي الأول، ولد في طرسوس (في تركيا

حاليًا)، توفي بين عامي 64 ، 67م، حيث دفن في كنيسة القديس بولس في روما بإيطاليا. www.st-takla.org

[1]بونتوس هو الاسم اليوناني لها، تقع علي البحر الأسود (في وسط تركيا حاليًا).انظر، (Grubbs, 2002 p.108)

[1]سار أسقفًا علي إحدي إيبارشيات كبادوكية. انظر (باسيليوس، 1960، ص132)

[1]لم تذكر جميع المصادر التي تحت أيدينا أي معلومات عن هذا الشاب غير ما ذكره غريغوريوس النيصي بأنه كان يربطه بالأسرة صلة نسب. انظر(النيصي،2001، ص35)

[1] ولد في عام 329م وأرسل في سن مبكرة إلي مدرسة في قيصرية بكبادوكيا، وهناك تعرف علي بعض الشخصيات منهم غريغوريوس النزينزي، والذي تحول إلي صديق لازمه طيلة حياته، ثم انتقل باسيليوس إلي القسطنطينية ليدرس فيها علم البيان والفلسفة، ومنها ارتحل إلي أثينا عام 351م لإتمام دراسته العليا، فقد كانت أثينا من أشهر مدن العالم الجامعية آنذاك، وبها إزداد تعمقًا في دراسة الفلسفة والبلاغة طيلة خمس سنوات، ثم رجع إلي وطنه عام 356م ليعمل مدرسًا في علم البيان بقيصرية، إلا أنه يترك كل ذلك وينشأ في بونتوس ديرًا للرجال قبالة دير النساء الذي قامت أمه إميليا وأخته ماكرينا بتأسيسه، ثم رسم كرئيس للأساقفة عام 370م بقصيرية خلفًا لأوسابيوس. انظر(باسيليوس، 1960، ج1، ص131 : 146 ؛ السرياني، 1996 ،ج1،ص219 (Ward, 1975, p.39; Schaff, 1989, p.631

[1] يرجح أنه ولد بين عامي 341 و 345م، أطلق عليه اسم الابن واليتيم معًا، حيث فارق والده الحياة وهو لا يزال طفلًا رضيعًا. وقد التحق بالجماعة الرهبانية التي أنشأها أخوه باسيليوس علي ضفاف نهر إيريس، وما لبث أن خلفه في رئاسة الدير عام 362م، وتم ترسيمه أسقفًا علي سبسطية عام 380م، ومن المرجح أن وفاته لم تكن قبل عام 392م. انظر(النيصي، 2001، ص44 ؛ Gould,1897, Vol. I, p.125)

[1] ولد عام 330م واتجه إلي حياة العزلة ببقعة بالقرب من نهر إيريس، وقد سار أحد خدامه ويدعي خرسانيوس علي نهجه، ورافقه في عزلته وقد استمر نوكراتيس في حياة الرهبنة طيلة خمس سنوات، إلا أنه توفي في بواكير شبابه وبنفس المكان الذي اعتزل فيه. انظر(النيصي، 2001، ص40)

[1] كانت تلك الولايات هي بونتوس، كبادوكيا، أرمينيا. انظر (النيصي، 2001، ص37)

(1) أرادت إميليا بذلك أن تبين خضوعها أيضًا لوصية أساقفة ذلك العهد الذين كانوا يطلبون من المؤمنين أن يقدموا بواكير ثمارهم وعشرها، وهذه العادة يهودية الأصل. انظر (النيصي، 2001، ص45.)

(1) هذه الرسالة هي الرسالة التاسعة عشر لغريغوريوس النيصي، حيث كانت موجهة لشخص يدعي يوحنا، وقد تحدث فيها غريغوريوس عن أمور مختلفة تتعلق بالحياة، وتحدث فيها أيضًا عن سجايا أخته ماكرينا. انظر. (النيصي،2004، ص99 – 103)

(1) اتهمت السلطات السياسية غريغوريوس بتهمة الاختلاس، فتم عزله من أسقفيته في نيصص عام 376م، بقرار من مجمع أساقفة أريوسيين، وعينت بدلًا منه أسقفًا أريوسيًا، وتم نفيه ولم يعود إلي منصبه إلا بعد مقتل فالنز عام 378م. انظر(Nyssa, 1892, p.16 – 17)

(1)كان هذا رأي باسيليوس الكبير في غيغوريوس النيصي أيضًا، الذي أخذ عليه سذاجته وقلة خبرته في الأمور الكنسية. انظر(النيصي، 2001ص54)

(1)نهر Jekil – Irmak الآن، وهو نهر يجتاز البونتوس ينبع من أرمينيا ويصب في البحر الأسود. (النيصي، 2001، ص39 ؛ باسيليوس، 1960، ص133)

(1)كان عمر باسيليوس الكبير حين توفي خمسون عامًا. انظر (Nyssa, 1892, p.17)

(1)علي ضفاف نهر إيريس. انظر(Nyssa,1892,p.17)

(1)امرأة ذات امتياز وثروة، وهي ابنة أراكسيوس الذي كان عضوًا في مجلس الشيوخ. انظر(النيصي، 2001، ص61)

(1)شماسة إنجلية. انظر(النيصي، 2001، ص61)

(1)تعني أن الأجساد التي تعود إلي التراب الذي خلقها الله منه، ستعود ثانية إلي الوجود وتحل فيها الأرواح وتتحد بها ويقف الجميع أمام الله في يوم القيامة العام، يوم البعث لكي يقدموا حسابًا أمام الله عن كل ما فعلوه في الحياة الدنيا، إن خيرًا وإن شرًا، وأنه يوم الدنيوية الرهيبة (الحساب والقضاء)، يتلوه المصير الأبدي لكل البشر أما في النعيم أو العذاب حسابًا يستحق كل إنسان حسب إيمانه وأعماله. انظر(www.st-takla.org)

(1)بعد أن قام باسيليوس بتأسيس دير الرجال بأنيسي، أرسل إلي صديقه غريغوريوس النزينزي برسالة يصف له مزايا المكان الذي أنشئ فيه هذا الدير، حيث قال: "ما هو الجمال الذي اظهر لنا في المسافة التي أراها الآن أمامي يوجدجبل مرتفع مغطي بغابة كثيفة ذات أشجار معمرة باتجاه الشمال عند سفح الجبل يمتد سهل واسع، ينتشر فيه الضباب الغزير الذي يرطبه الغابة المحيطة التي تتجمع فيها العديد من أنواع الأشجار". هذه الصورة الخيالية تكشف لنا عن مدي إحساس باسيليوس المرهف وتذوقه للفن وجمال الطبيعة، متمشيًا في ذلك مع المسيحية التي تري في الطبيعة كتاب مفتوح يدل علي قدرة الخالق. انظر باسيليوس، نسكيات، ج1، ص140 ؛ Schaff ,1989, , p.634; Nazianzus,2006 , p.8.)

[1]هي ابنة جندي يرأس حامية سيستوبوليس، كان علي صلة بأسرة ماكرينا. انظر(النيصي، 2001، ص68)

[1]كان السفر من كبادوكيا إلي أنيسي يستغرق حوال عشرة أيام. انظر (النيصي، 2004، ص101)

[1]ويذكر غريغوريوس في هذا الصدد: "ورأيتها ورأتني ولكن كما يكون المسافر في الظهيرة، وقد جففت جسده الشمس، فينطلق نحو ينبوع الماء، ولكن قبل وصوله إلي الماء، وقبل أن يتبلل لسانه، يجد أن الماء انقلب إلي تراب، وأن الينبوع جف في وجهه، كذلك كنت أنا، بعد تسع سنوات من الغربة، عمن كنت أحبها كأم ومعلمة انظر(النيصي، 2004، ص101)

[1]كان المسيحيون الأولون يجعلون الجنة في المشرق، وينتظرون عودة المسيح من المشرق يوم القيامة، كما ينتظرون منه الملائكة الذين ينقلون أرواح الأبرار إلي الجنة انظر(النيصي، 2001، ص27)

[1]عادة كانت شائعة في كبادوكيا وكل آسيا الصغري تقريبًا حينئذ، وهي إقامة صلاة الشكر والتمجيد عند إضاءة المصابيح، انظر(النيصي، 2001، ص27)

[1]ولقد صحن العذاري قائلات: "لقد أنطفأ النور في عيوننا وانتزع الضوء الذي كان يقود نفوسنا، وغابت الساهرة علي الضعيفات". انظر(النيصي، 2001، ص61)

[1]من العادات السائدة في هذه الفترة أن يُغسل أولًا جثمان الميت، ثم يعطر بالطيب ويلبس ثوبًا ثمينًا من قطن أو حرير، انظر (النيصي، 2001، ص27)

[1]كان استخدام الشموع في مراسم الجنازات له دلالات وفوائد روحية، حيث تعتبر الشمعة تعبيرًا تصويريًا دقيقًا عن وقفة العابد أمام الله، كما أن الشمعة من الممكن أن تحترق أو تذوب لكي تعطيي نورًا للآخرين، فهي بذلك تعطي عظة بفكرة المؤمن الذي يبذل ذاته في سبيل خدمة الآخرين وفي صمت وهدوء (مت 5 :13) انظرwww.st-takla.org()

[1]شيدت إميليا والدة ماكرينا هيكلًا في أنيسي وسمته باسم الأربعين شهيدًا الذين استشهدوا في سبسطية علي يد الوالي أجريكولاوس بسبب إيمانهم بالمسيحية، وقامت بنقل رفاتهم المقدسة علي مقربة من ضريح العائلة، ويعزي تصرفها ذلك إلي الاعتقاد السائد وقتئذ بأن من يدفن في محيط آثار الشهداء فسوف يحمي قبره من الشياطين، إضافة إلي أن هؤلاء الشهداء قد يكونوا شفعاء للميت المجاور لهم عند الله، كما أنه من المأمول أن يبعث هذا المتوفي مع الشهيد. انظر(باسيليوس، 1960 ، ص132 ؛ Leemans,2003, p.13)

قائمة المصادر والمراجع

أولًا : المصادر الأجنبية

1. Basset. R., (1913), **Les Synaxaire Arabe Jecobe,** Vol. III, trans. Basset. R., Patrologia Orientalis, Part. XII, Paris.

2. Bateson, Mary.,(1899**),Origin and early history of double Monas teries,** Transactions of the Royal historical society, Newser, vol. 13, trans, Mary Bateson, ed. Royal historical society.
3. Bayan. D. G., (1930), **Les Synaxaire Armenien,** Vol. XIII, IV, trans. Bayan. D. G., Patrologia Orientalis, part. XXI, Paris.
4. **Caesarea**, **Basil.,**(1926), St. Basil letter, Vol.1, trans, Roy, J., Deferrari, R. J., London, New York.
5. Coon,Lynda**.,**(1977**),Scared fictions Holy women and Hagiography in late antiquity,** trans. Lynda. L. Coon, Pennsylvania University press.
6. **Ephesus, John.,**(1990),The lives of the eastern saints, trans., Harvey, S. A., California University**.**
7. Gould, Baring., (1897**), Lives of the saint,** Vol. I, trans, Baring – Gould, London**.**
8. Leemans**, Joban.,**(2003**),Greek homilies on Christian Martys from Asia Minor Palestine and Syria** (A.D. 350 – 450), trans, Leemans, J., Mayer. W., Allen, P., and Debandscbuer, B., Routledge, London and New York.
9. **Nazianzus, Gregory,**(2006), **Gregory. Nazianzus**, trans, Briane and Daley, S. J., Routldge, London and New York.
10. **Nyssa, Gregory.,** (1892), Dogmatic Treatises, ETC, Ed. Ph. Schaff, The Nicene and post. Nicene Father, Vol. (2 – 5), New York.
11. Ponticus, **Evagrius.,**(2006),**Evagrius**. Ponticus, trans, A.M. Casiday, London and New York.
12. Schaff, **Philip.,** (1989), **History of the Christian church**, Vol.III, ed. Ph. Schaff, The Nicene and post. Nicene Christianiry, A.D. 311-600, New York**.**
13. Ward, **Benedicta.,** (1975**), The sayings of the Desert Fathers,** trans. Ward, B., Cistercion publications, kalamazoo and A. R., Mowbray, Oxford, First published**.**

ثانيًا : المصادر العربية والمعربة

14. **باسيليوس، الكبير،** (1960)،نسكيات القديس باسيليوس أسقف قيصرية الكبادوك، ج1، راجعه وأعده للنشر القمص تادرس السرياني،إصدار دار السريان.
15. **النيصي ،غريغوريوس ..**

_____ **(2001)،** حياة القديسة ماكرينا، تعريب الأب حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط.1.

_____ **(2004)**، رسائل غريغوريوس النيصي (335 – 394م)، تعريب الأب حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط.1.

16. السرياني ،ميخائيل ،(1996)، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير (بطريرك أنطاكية)، ج.1، ترجمة مار جريجوريوس صليبا شمعون، تقديم مار جريجوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، حلب .

ثالثًا : المراجع الأجنبية

17.Brown, P.,(2008), Asceticism: Pagan and Christian, in: The Cambridge ancient history , The late Empire, A.D. 337 – 425, Vol.XIII, ed. Cameron, A., and Garnsey, P., Cambridge University press, pp.601 – 631.

18.Cameron, A., (2008),Education and Literary culture, in: : The Cambridge ancient history, Vol. XIII, The Late Empire, A.D 337 – 425, edComeron. A., and Garnsey. P., Cambridge University press, pp. 665 – 707.

19.Clive, F. W., (1991),Nysss, The Oxford Dictionary of Byzantium, ed. Alice and Mary, Oxford University press.

20.Delehaye,Hippolyte., (1948),Byzantine monasticism, Byzantium in: Introduction to East Roman Civilization, ed. Baynes, N. H., and Moss, L. B., Oxford, pp.136 - 165.

21.Giardina, A., (2008),The family in the late Roman world, in: The late Roman world, in: The Cambridge ancient history, Vol.XIV, Late antiquity: Empire and Successors, A.D. 425 – 600, Cambridge University, pp.392 – 415.

22.Grubbs, Judith.,(2002),Women and the law in the Roman Empire, London and New York.

22. Hervey. S. A., **(**2006), Women and words: Texts by and a bout women, in: Cambridge history of Early Christian Literature, ed. young, F., Ayers, L., and Louth. A., Cambridge Universtiy, pp.382 – 390.

23.Louth, A.,

- (2006.A),The Camppadocians, in: Cambridge history of early Christian literature, ed. Young, F., Ayres, L., and Louth, A., Cambridge University, pp. 286 – 301.
- (2006.B),The Literature of the monastic movement, in: Cambridge history of early Christian literature, ed. Young, F., and Louth, A., and Ayres, L., Cambridge University, pp. 373 – 381.

24.Smith. M.,(2008),Coptic literature, 337 – 425, in: The Cambridge ancient history, Vol. XIII, The Late Empire, A.D 337 – 425, ed Comeron. A., and Garnsey. P., Cambridge University press, pp. 720 – 735.

25.Velkovska, Elena., (2001),Funeral rites according to the Byzantine liturgical sources, in: Dumbarton oaks papers, No. 55, ed. Alice and Mary, America, pp.21 – 51.

26.www.st-takla.org

Saint Macrina the Younger through the writings of "Gregory of Nyssa" (327 - 379 AD)

Dr.Soher Mohamed Melegy

Department of History, College of Women, Ain Shams University

sohermohamed.melegy@women.asu.edu.eg

Abstract:

This research deals with the life of Saint Macrina the Younger; tracing her upbringing and her youth, as she had played a major role in the women's monastic movement. In addition, it highlights the great role that "Emilia" played in her daughter's life; as she brought her up a religious upbringing and kept her away from everything that could exclude her from the Bible's approach. Then it deals with Macrina's engagement; which was not crowned with marriage due to the death of her fiancé, and her rejection of any engagement after, that was for her tendency to worship life.

The study also shows Saint Macrina's educational role in direction and guidance of her brothers; which greatly affected their attitudes. As well as it clarifies the extent of her positive impact on her mother and persuading her to convert the family home in Annecy to a women's monastery, and how she could include the virgins and the widows who had a passion for the religious orientation and the life of monastic. It also notes the role that Macrina played in relieving her mother's sorrows about the death of her brother, Nucratis.

The research also touched on the life in the women's monastery, and how that life was characterized by austerity, which stripped everyone of any earthly decorations or joys, where they devoted themselves to the continuous prayers and contemplation with an incentive to transfer to the angelic life.

Keywords

1/ Saint. 3/ The Younger. 5/ Gregory of Nyssa.
2/ Macrina. 4/ Basil the Great.